



European  
University  
Institute

ROBERT  
SCHUMAN  
CENTRE FOR  
ADVANCED  
STUDIES



Middle  
East  
Directions

RESEARCH  
PROJECT  
REPORT

JANUARY  
2019/01

# اتفاق سوتشي ومصالح الدول الضامنة: مقاربات الديمومة بين الرغبة والتحديات

المؤلف

منهل باريش

© European University Institute, 2019

Specific content © Manhal Baresh, 2019

This text may be downloaded only for personal research purposes. Additional reproduction for other purposes, whether in hard copies or electronically, requires the consent of the authors. If cited or quoted, reference should be made to the full name of the author(s), editor(s), the title, the year and the publisher.

Requests should be addressed to [med@eui.eu](mailto:med@eui.eu).

Views expressed in this publication reflect the opinion of individual authors and not those of the European University Institute.

### **Middle East Directions**

Robert Schuman Centre for Advanced Studies

Research Project Report  
RSCAS/Middle East Directions 2019/01  
January 2019

European University Institute  
Badia Fiesolana  
I – 50014 San Domenico di Fiesole (FI)  
[www.eui.eu/RSCAS/Publications/](http://www.eui.eu/RSCAS/Publications/)  
[cadmus.eui.eu](http://cadmus.eui.eu)



With the support of the  
Erasmus+ Programme  
of the European Union

# **اتفاق سوتشي ومصالح الدول الضامنة: مقاربات الديمومة بين الرغبة والتحديات**

منهل باريش<sup>1</sup>

## **ملخص تنفيذي**

فضلت روسيا ممارسة ضغط على تركيا في قضية إدلب وتحميلها مسؤولية فكفة جزء كبير من الملفات المشابكة فيها. ولو أنها لم تتمهل في اتخاذ قرار المعركة لانعكس الأمر سلباً على علاقتها بتركيا وتمت إعاقة التصور الروسي للحل عبر مسار آستانة واللجنة الدستورية، فكان اتفاق سوتشي مخرجاً يحقق لها الكثير من الأهداف ويحافظ على علاقة إيجابية بتركيا.

ويعتبر الاتفاق موضع إجماع ومبركة لدى عدد من الدول، وعلى رأسها الولايات المتحدة، التي لا ترغب بتوسيع النفوذ الروسي في إدلب. إذ إن حسم الأمور سريعاً في إدلب سيجعل روسيا تركز جهدها على منطقة النفوذ الأميركية شرق الفرات.

كسبت روسيا ورقة مساومة جديدة مع الاتحاد الأوروبي، الذي يخشى عملية عسكرية تؤدي إلى تدفق مئات الآلاف اللاجئين إليه. وتصر روسيا على ربط ملف عودة اللاجئين بملف إعادة الإعمار، في محاولة لاستدراج الاتحاد الأوروبي للمساهمة بإعادة الإعمار بذرعة بناء مساكن للعائدين.

وتولى أنقرة إرضاء كل من روسيا وإيران وتأمين مصالحهما في الاتفاق، وتعاني صعوبة كبيرة في إقناع هيئة تحرير الشام بمعادرة المنطقة المنزوعة السلاح. كذلك تعاني من خروقات الفصائل المتطرفة التي تتبع لتنظيم القاعدة.

تشكل استعادة تشغيل طرق الترانزيت 5 (حلب - حماه) و 4 (حلب - اللاذقية) أبرز تحديات الاتفاق بالنسبة لتركيا، وهو تحدٌ مرتبٌ بموافقة جميع الفصائل. وإذا تضمن تركيا موافقة الجبهة الوطنية للتحرير، تبقى تحرير الشام المفسد الرئيسي المحتمل للاتفاق، علماً أن الأخيرة هي الوحيدة القادرة على لجم باقي الفصائل المتطرفة ومنعها من مهاجمة الطريقين.

---

<sup>1</sup> منهل باريش: صحفي وباحث سوري يعمل على تطورات الحرب وما بعد النزاع ضمن المشروع السوري في برنامج مسارات الشرق الأوسط، والذي يشرف عليه مركز روبرت شومان للدراسات العليا بالجامعة الأوروبية في فلورنسا. يركز عمله على الديناميات المحلية والإقليمية للأزمة السورية، وهو يعمل بشكل مكثف في رسم خرائط السيطرة العسكرية وتوزع الجماعات في مناطق المعارضة السورية.  
حرر هذه الورقة ياسر الزيات.

فشلت تركيا بإجبار تحرير الشام على حل نفسها، لكنها ما زالت تمارس ضغوطاً كبيرة عليها بهدف عزل المزيد من المتشددين وتقسيمها لمجموعات صغيرة غير فاعلة. وفي حال عدم استجابة تحرير الشام لتنفيذ بنود اتفاق سوتشي، ستختار تركيا شن حرب للقضاء عليها قبل أن ينهار الاتفاق وتعطي مبرراً لروسيا بذلك. لكن تركيا في النهاية لن تعترض على تسلم تحرير الشام زمام الأمان على جانبي الطريقين الدوليين.

وتمتنع الدول المانحة عن تنفيذ مشاريع في أغلب مناطق إدلب، حيث تعتبرها مناطق عمل حكومة الإنقاذ التي تسيطر عليها تحرير الشام بشكل مباشر، وهو ما يعكس سلباً حتى على مجالس المدن ومجالس المحافظات التابعة لحكومة المؤقتة ويشكل التحدي الأكبر نتيجة انقطاع المساعدات عن مئات آلاف السوريين القاطنين في تلك المناطق.

## مقدمة

مثل اتفاق سوتشي الذي أبرمه الرئيس الروسي فلاديمير بوتين والتركي رجب الطيب إردوغان في 17 أيلول 2018 وقرار الرئيس الأميركي دونالد ترامب بالانسحاب من سوريا نقطتي تحول رئيسيتين في مسار الأحداث السورية، حيث شكل كل من الاتفاق والقرار انعطافة سياسية وعسكرية رسمت ولا تزال ترسم الخطوط العريضة لمستقبل البلاد ولا سيما الجزءين الشمالي والشرقي منها. ويُتوقع أن ينعكس القرار الأميركي إيجاباً على تثبيت اتفاق سوتشي على المديرين القريب والمتوسط في مدة لا تقل عن ستة أشهر وهي المدة المتوقعة لبدء الانسحاب الأميركي في حال إصرار الرئيس الأميركي على ذلك. ويتعزز الاتفاق بعد الانسحاب المحتمل على اعتبار أن الهدف الروسي والإيراني سيتحول لملء الفراغ الذي سيحدثه الانسحاب الأميركي من منطقة شرق الفرات وليس للسيطرة على إدلب.

ومن خلال هذا الاتفاق، أبعدت تركيا شبح عملية عسكرية محتملة على إدلب وبعض المناطق المجاورة لها في أرياف حلب وحماء واللاذقية. وينص الاتفاق على إقامة منطقة منزوعة السلاح بعمق 15-20 كيلومتراً داخل منطقة خفض التصعيد، وعلى إبعاد جميع الجماعات الإرهابية الراديكالية عن المنطقة المنزوعة السلاح بحلول 15 تشرين الأول 2018. وتعتبر استعادة حركة الترانزيت عبر الطريقين M4 (حلب - اللاذقية) وإم 5 (حلب - حماة) بحلول نهاية عام 2018 و«محاربة الإرهاب» داخل سوريا. (نص الاتفاق في الملحق 1).

يُنظر إلى الاتفاق على أنه نسخة معدلة من الاتفاق الذي تواافق عليه الضامنون الثلاثة (روسيا وتركيا وإيران) في آستانة في 6 أيلول 2017<sup>2</sup>، حيث أعطيت روسيا الضوء الأخضر لبدء العمليات العسكرية والاستفراد بكل منطقة من مناطق خفض التصعيد على نحو أدى إلى هزيمة فصائل المعارضة السورية في ثلاث من تلك المناطق وهي الغوطة وطوق دمشق؛ وريف حمص الشمالي؛ ودرعا. وذلك ما يبرر خوف المعارضة السورية بشقيها السياسي والعسكري، ويرفع الشعور بالخطر لدى ثلاثة ملايين ونصف سوري يتواجدون في المحافظة حتى لحظة تحرير هذه السطور (8 كانون الثاني 2019)، منهم مليون نازح داخلي هربوا من المناطق التي استعاد النظام السيطرة عليها. وما يعقد الوضع في إدلب الرغبة الروسية المعلنة بعودة المنطقة لسلطة «الدولة السورية»؛ والإصرار التركي على إبقاء إدلب منطقة نفوذ تركي تضم أكبر كتلة بشرية في المناطق الخارجة عن سلطة النظام، فضلاً عن عشرات آلاف المقاتلين الذين رفضوا المصالحة وتوجهوا إلى شمال غرب سوريا؛ إضافة إلى وجود تحرير الشام وباقى الفصائل الإرهابية والمتشددة. وتشكل الأعداد الكبيرة للمقاتلين وعدم انضباطهم التحدى الأكبر لأية عملية تسوية في إدلب.

لكن اتفاق سوتشي يفتقر إلى جدول زمني واضح لتطبيق تلك التفاهمات، بالإضافة إلى غياب آليات التطبيق وتركه الباب مفتوحاً فيما يتعلق بحدود المنطقة العازلة. كل ذلك يطرح عدداً كبيراً ومتبايناً من الأسئلة، أولها إن كان هذا الاتفاق نهائياً أم مؤقتاً.

تشمل الأسئلة التي تحاول الدراسة الإجابة عليها:

- هل يعتبر الاتفاق تقوياً لأنقرة بحل معضلة إدلب على طريقتها وتجنب المنطقة عواقب حرب كبيرة تطال ارتداداتها دول الاتحاد الأوروبي، أم أن موسكو تسعى لاختبار مقدرة أنقرة على فرض منطقة منزوعة السلاح الثقيل وفكك تحرير الشام من دون اللجوء للقتال؟
- ما هي إمكانية تطبيق الاتفاق عملياً على الأرض، وهل خرجت تحرير الشام من المنطقة المنزوعة السلاح، وما هي آليات تركيا لفتح الطرق الدولية مع وجود الفصائل المتشددة؟
- بعد انتهاء المدة المحددة لتطبيق الاتفاق نهاية 2018، هل ستتجأ روسيا لعملية عسكرية محدودة في إدلب، أم ستفضل تمديدها وإعطاء مزيد من الوقت لتركيا وعدم إغضابها؟

<sup>2</sup> بدأت محادثات آستانة في كانون الثاني 2017 في العاصمة الكازاخية كمفاوضات بين وفد الحكومة السورية وممثلين عن المعارضة السورية المسلحة، برعاية روسية وتركية. وقد سعت المحادثات إلى تثبيت هذه تشمل جميع أنحاء البلاد، وهي عملية سياسية منفصلة عن عملية جنيف التي كانت تقردتها الأمم المتحدة، وبدءاً من الجولة الرابعة من محادثات آستانة في آيار 2017، اتفق ممثلو موسكو وطهران وأنقرة على تأسيس ما سُمي مناطق خفض تصعيد والتي سيتم ضمها وقف العمليات العسكرية بين فصائل المعارضة وقوات النظام.

- هل ستفضل إيران عدم خوض معركة إدلب والبحث عن مكاسب سياسية واقتصادية، وكيف فسرت طهران الاتفاق، وهل هو يتعارض استراتيجياً مع مشروعها في سوريا؟
- هل ستتمكن تركيا من تفكير تحرير الشام وصهرها في الجبهة الوطنية، ومن ضبط المنطقة أمنياً وتشكيل إدارة مدنية لا تسيطر عليها الفصائل وتلاقي رضا ودعم الأطراف الدولية؟
- ما وقع هذه التغييرات الميدانية على الجهات المانحة، وكيف ستؤثر على قرارها في تعليق أو وقف مساعدتها بشكل كلي؟ وما أثر ذلك على المستفيدين ومساعي إعادة الاستقرار والتعافي المبكر؟

يبدأ البحث بتقديم لمحه عن العوامل الدولية والإقليمية التي تقف وراء الاتفاق المذكور، ويناقش آليات تنفيذ الاتفاق، ومراحله، والنتائج التي ستحصدها الأطراف الثلاثة الضامنة في موازين الربح والخسارة في حال نجاح أو فشل الاتفاق، كما يبحث في احتمالات صمود الاتفاق واستمراريته أمام التحديات المحلية والإقليمية التي تتهدهد.

بعد ذلك تتم دراسة مسار الفصائل و موقف تحرير الشام من الاتفاق وردة فعلها السياسية عليه، إضافة إلى الفلتان الأمني في منطقة إدلب وأسبابه وتأثير اتفاق سوتشي عليه. وأخيراً تعرض الدراسة المقاربة التركية للإدارة المدنية في إدلب، وعلاقتها بالحكومة المؤقتة التي تتخذ من أعزاز في منطقة درع الفرات مقرأً لها، وإعادة تفعيل المجالس المحلية في المناطق التي تسيطر عليها الفصائل المعتدلة، وانعكاس الاتفاق على إمكانية تفعيل المجالس المحلية في المنطقة المنزوعة السلاح.

اعتمد البحث على معلومات من مصادر الباحث الخاصة، ورصد ميداني وإعلامي للأطراف المعنية، ووثائق وبيانات حصرية وغير منشورة سابقاً، ومقابلات مع قادة في الفصائل العسكرية، وزراء في الحكومة المؤقتة، وممثلين عن هيئات المعارضة ك المجالس المحافظات والمجالس المحلية ومديريات الصحة والتعليم.

## **الجزء الأول: تحليل مواقف واستراتيجيات الدول الثلاث حول اتفاق سوتشي**

### **مناخ ما قبل الاتفاق: تعزيزات عسكرية إلى إدلب**

بعد انهيار الوضع في درعا والقنيطرة جنوباً، وسيطرة قوات النظام والميليشيات الإيرانية على المنطقة إثر مفاوضات روسية مباشرة مع قادة الجبهة الجنوبية في مدينة بصرى الشام شرقي محافظة درعا في تموز 2018، بدأ النظام السوري وحلفاؤه في مطلع شهر آب بإرسال تعزيزات

عسكرية من القوات الرسمية، منها الفرقة الرابعة التي يقودها أخو الرئيس السوري ماهر الأسد، إلى إدلب شمال غرب سوريا، وكذلك قوات النمر التي يقودها العميد سهيل الحسن إلى تخوم محافظة حماة الشمالية المواجهة لمناطق سيطرة فصائل المعارضة في شمال غرب سوريا.

بدورها دفعت إيران 23 ميليشيا إلى شمال غرب سوريا،<sup>3</sup> هي أفواج الدفاع المحلي<sup>4</sup> وميليشيات عراقية،<sup>5</sup> إضافة لميليشيا حزب الله اللبناني، ولواء فاطميون الأفغاني، ولواء زينبيون الباكستاني، وأخيراً قوات إيرانية خالصة (لواء 65 والحرس الثوري الإيراني). وقد طوقت هذه الميليشيات إدلب بقراة 223 نقطة عسكرية تمركزت فيها في بداية شهر أيلول 2018.<sup>6</sup>

في المقابل، أجبرت تركيا فصائل المعارضة المعتدلة والفصائل الإسلامية المقربة منها وغير المصنفة على لوائح الإرهاب الدولية والأمريكية على الاندماج على مرحلتين. ضمت المرحلة الأولى 11 فصيلاً، هي 10 فصائل من الجيش الحر كانت مدعومة سابقاً من الموم (MOM) أو مركز العمليات المشترك)، وفيق الشام المدعوم سابقاً من الموم أيضاً والذي يعتبر الذراع العسكري لجماعة الإخوان المسلمين السورية، المدعومة والمقربة من تركيا. وجرى ذلك من خلال اجتماعات مكثفة بدأت منتصف شهر تموز 2018 في أنقرة، حيث استدعت السلطات التركية قادة الفصائل إلى اجتماع أنقرة،<sup>7</sup> ومن ثم استكملت الاجتماعات على مستوى قادة الفصائل داخل سوريا، ونتج عن ذلك تأسيس «الجبهة الوطنية للتحرير» مطلع شهر آب 2018.<sup>8</sup>

أما موسكو فقد هددت خلال اجتماعات آستانة - 10 التي انعقدت نهاية تموز 2018 على لسان المبعوث الرئاسي إلى سوريا ألكسندر لافرنسيف أنها ستقوم بعملية غير واسعة في إدلب، بعد أن تركزت نقاشات الوفد الروسي مع وفد المعارضة حول خطر طائرات «الدرونز» المسيرة بدون طيار والتي تستهدف القاعدة الجوية الروسية في حميميم وكانت تطلقها تحرير الشام.<sup>9</sup>

وبعد نقل الوحدات العسكرية للنظام وحلفائه إلى المنطقة، شهدت محافظة إدلب قصفاً جوياً من قبل روسيا والنظام تركز على خان شيخون جنوب إدلب وجسر الشغور أقصى غرب المحافظة،

<sup>3</sup> نوار أوليفر، «اتفاق المنطقة العازلة في إدلب.. السياق والواقع الراهن واتجاهاته»، مركز عمران للدراسات الاستراتيجية، 12 تشرين الأول 2018، <https://bit.ly/2A6Jmbk>.

<sup>4</sup> والمؤلفة من ميليشيات لواء الباقر، جيش المهدى، قوات الغضب، سرايا الغاليون، أسد الله الغالب، سرايا نبل والزهراء.

<sup>5</sup> عصائب أهل الحق، سرايا الخراساني، لواء عمار بن ياسر، حزب الله العراقي، كتائب سيد الشهداء، حركة التنبأ.

<sup>6</sup> وكالة الأناضول، «إدلب السورية تحت حصار الإرهابيين الأجانب»، وكالة الأناضول، 20 أيلول 2018، <https://bit.ly/2COvcNt>.

<sup>7</sup> منهل باريش، «ضغط على فصائل إدلب واجتماعات مكثفة لاندماجها في الجبهة الوطنية»، القدس العربي، 28 تموز 2018، <https://bit.ly/2RbDPui>.

<sup>8</sup> توبيتر، الجبهة الوطنية للتحرير، بيان التأسيس، 1 آب 2018: <https://twitter.com/alwataniaTahrer/status/1024704375644667904>.

<sup>9</sup> منهل باريش، «لكي لا تتكرر سيناريوهات حلب ودير الزور والغوطة: جبهة النصرة ومصير إدلب»، القدس العربي، 11 تموز 2018، <https://bit.ly/2Qm6veQ>.

استهدف خلالها الطيران الحربي عدة مدارس وأسواق ومراكيز للدفاع المدني (الخوذ البيضاء) وبنى تحية، واستمر التصعيد العسكري والقصف براجمات الصواريخ والمدفعية على كامل المناطق خلال أعمال القمة.

#### مصالح مختلفة للدول الثلاث (تركيا وإيران وروسيا)

لم تتوصل لجان العمل المشتركة الروسية-التركية- الإيرانية المتبعة عن اتفاق آستانة في المجتمعات مكثفة في أنقرة وموسكو إلى وضع آلية تثبت استدامة إبقاء إدلب منطقة خفض التصعيد، كذلك لم يتمكن وزراء الدفاع والخارجية ورئيس جهاز الاستخبارات التركية من إقناع الرئيس الروسي بتغيير قراره بخوض معركة إدلب. فأجرت أنقرة اتصالات مكثفة وغير معلنة مع طهران في محاولة لكسبها إلى جانبها أو تحبيدها على الأقل في الخلاف الحاصل حول إدلب، كونها أحد الضامنين الثلاثة. وقبل يوم من انعقاد قمة طهران الثلاثية التي عقدت في 7 أيلول 2018، وصل وزير الخارجية التركي مولود جاويش أوغلو إلى إيران وأقنع طهران بعدم الضغط من أجل عملية عسكرية إلى جانب موسكو، ونجح في أن تكون القمة منقولة على الهواء مباشرة وهو ما تفاجأ به بوتين لكنه لم يعارضه.<sup>10</sup>

وأرادت الدبلوماسية التركية توجيه رسالتين من النقل المباشر للمؤتمر، واحدة متعلقة بكسب المزيد من الشعبية في محافظة إدلب، وتبيان إيجابية الجهود التركية بعد الكثير من التشكيك في حقيقة دورها عقب ما حصل في باقي مناطق خفض التصعيد أو في منطقة شرق سكة قطار الحجاز؛ ورسالة ثانية لواشنطن ودول الاتحاد الأوروبي مفادها أن تركيا ما زالت دولة فاعلة في حلف شمال الأطلسي (ناتو) وأن علاقتها مع روسيا تكتيكية، تطغى عليها الخلافات ولن تتحول إلى علاقة إستراتيجية.

وعززت تركيا نقاطها بالمدافع الثقيلة وذخرت الجبهة الوطنية بقذائف المدفعية والدبابات.<sup>11</sup> كما أرسلت شحنات كبيرة من السلاح إلى الجبهة الوطنية للتحرير في إدلب، وأعلن الجيش الوطني في درع الفرات عن استعداده للدفاع عن إدلب.<sup>12</sup> وتمكنـتـ تركـياـ منـ إيقـافـ هـجـماتـ تـحرـيرـ الشـامـ عـلـىـ مـطـارـ حـمـيـمـ بـالـطـائـرـاتـ الـمـسـيـرـةـ بـشـكـلـ نـهـائـيـ قـبـلـ قـمـةـ طـهـرـانـ وـمـنـعـتـ أيـ هـجـومـ عـلـيـهـ.

<sup>10</sup> مصدر خاص للباحث، نقلًّا عن وزير الخارجية الإيراني، 10 أيلول 2018

<sup>11</sup> نوار أوليفر، مصدر سابق؛ إضافة لمصادر الباحث من أعضاء من الجبهة الوطنية.

<sup>12</sup> منهـلـ بـارـيـشـ،ـ «ـمـعـ اـقـرـابـ المـعرـكـةـ:ـ درـعـ الفـرـاتـ تـرـغـبـ بـالـدـافـعـ عـنـ إـدـلـبـ»ـ،ـ (ـالـفـسـ العـرـبـيـ)،ـ 1ـ أـيـلـولـ 2018ـ،ـ <https://bit.ly/2SJAMpQ>

أدركت روسيا في قمة طهران في 7 أيلول 2018 أن الضغط الزائد وعدم التوصل إلى اتفاق مع تركيا حول إدلب، يضع العلاقة مع أنقرة على المحك، خصوصاً مع إطلاق الرئيس التركي رجب طيب Erdogan في قمة طهران الثلاثية المذكورة تحذيراً مفاده أن «مستقبل إدلب لا يتعلق بمستقبل سوريا، بل بمستقبل تركيا». <sup>13</sup> واعتبرت موسكو أن القيام بعملية عسكرية واسعة سوف ينعكس على مسار آستانة الذي رسمته لحل النزاع في سوريا وقد يتسبب في توسيع العلاقة مع أنقرة ويخرجها مع فصائل المعارضة منه، وسيعيق الأمر تشكيل اللجنة الدستورية المتعثرة أساساً.

واعتبرت موسكو أن عملية عسكرية جديدة ستؤدي إلى عبور مئات آلاف اللاجئين الجدد إلى تركيا ومنها إلى أوروبا، كما ستعيق محاولاتها الرامية إلى البحث عن دور أوروبي في إعادة الإعمار، لذلك فهي تحاول استخدام قضية اللاجئين للضغط على الدول الأوروبية واستدرجها إلى إعادة الاعمار. ويبعد أن هذا هو سبب عقد قمة أنقرة الرابعة مع فرنسا وألمانيا وتركيا، التي أعلن عنها Erdogan مطلع تشرين الأول 2018 وانعقدت في 28 من الشهر نفسه.

استغلت طهران الفرصة لتفعيل الجزء المعطل من اتفاقية المدن الأربع<sup>14</sup> من أجل تخفيف خسائرها في حال حصول معركة في إدلب. بحيث لا يشكل ملف المدينتين (في الفوعة وكفريا الشعيبتين المحاصرتين منذ آذار 2015) ورقة ابتزاز ضدها، وسعت لتجنيبهما عمليات اجتياح انتقامية. فأعادت إحياء اتفاق المدن الأربع بتفاهم روسي تركي-إيراني هذه المرة، وقدمت تنازلاً لهيئة تحرير الشام التي اشترطت إخراج مقاتليها من مخيم اليرموك جنوب دمشق.

ونصت الصفة الجديدة على إجلاء سكان بلدتي الفوعة وكفريا<sup>15</sup>، ومن تبقى من مقاتلي ميليشيا حزب الله والميليشيات المحلية، والإفراج عن 85 من المحتجزين المدنيين العلوبيين (نساء وأطفال) من خطفوا من بلدة اشتبرق بالقرب من جسر الشغور في عام 2015.<sup>16</sup> في المقابل، اشترطت تحرير الشام إخراج مقاتليها المحاصرين وعائلاتهم من مخيم اليرموك. وضمن الاتفاق بين إيران وتركيا وروسيا إخراج 137 من أسرى تحرير الشام لدى الميليشيات الإيرانية في منطقة السيدة

<sup>13</sup> شبكة شام، «انطلاق قمة الضامنين.. Erdogan: مستقبل إدلب لا يتعلق بمستقبل سوريا فقط بل بمستقبل تركيا أيضاً»، 7 أيلول 2018، <https://bit.ly/2Fcclyl>.

<sup>14</sup> اتفاق المدن الأربع يشمل مدينتي مضايا والزبداني – اللتين تقعان على مسافة 40 كم شمال غرب دمشق ويطوقهما النظام – والفوزة وكفريا – الشعيبتين اللتين تطوقهما الفصائل في محافظة إدلب. في أواخر آذار 2017، تم التوصل إلى اتفاق نهائي شمل بين عدة بنود إخلاء «المدن الأربع» من سكانها.

<sup>15</sup> أجلت طهران كامل المحاصرين من البلدين وعددهم ستة الاف مدني ومقاتل في 19 تموز 2018

<sup>16</sup> الاخبار، «اتفاق في اليرموك يشمل كفريا والفوعة... من بوابة اجتماع موسكو»، الاخبار، 30 نيسان 2018، <https://al-akhbar.com/Syria/249143>

زينب جنوب دمشق، و 3 آخرين في الفوعة وكفريا،<sup>17</sup> إضافة إلى 1500 معتقل مدني لدى النظام السوري.<sup>18</sup>

ومع إعلان الرئيس الأميركي انسحاب الولايات المتحدة من الاتفاق النووي مع إيران في 8 أيار 2018، أعادت إيران حساباتها المتعلقة بقضية إدلب، وكانت أنقرة قد عبرت عن تحفظها على العقوبات الأمريكية منذ إعادة فرضها،<sup>19</sup> فسعت إيران لعدم إغضاب تركيا على مقربة من حدودها، وسعت أيضاً – مثل موسكو – لعدم استدعاء أوروبا المعترضة على العمليات العسكرية المحتملة في إدلب، وذلك بغية تحسين علاقتها بها بعد الإعلان المذكور للرئيس الأميركي.

بهذا المعنى، مثلت قمة طهران في 7 أيلول ما يمكن اعتباره وضوح الموقف الرسمي الإيراني المتراجع عن تنفيذ عملية واسعة في إدلب، فركرز الرئيس حسن روحاني على قضيتي أساسيتين هما: شرعية وجود بلاده ورفضه الخروج من سوريا، وانتفاء حاجة التوأجد العسكري الأميركي في شرق الفرات بعد القضاء على تنظيم داعش.

إذً، فإن تقابل مصالح الدول الثلاث جعل روسيا وإيران تقضلان وقف العملية العسكرية، طالما أن تحقيق مكاسب أولية ممكن من دون معركة، ويفتح أبواب واسعة لعودة النظام إلى إدلب.

#### تطبيق اتفاق سوتشي وتفسيراته المختلفة

بعد عشرة أيام من قمة طهران، حمل إردوغان عرضاً لاقى قبول بوتين وسهل التوصل إلى اتفاق سوتشي. وبحسب كلام الرئيس الروسي في مؤتمر الإعلان عن اتفاق سوتشي، نص العرض المقدم بشكل رئيسي على إخراج سلاح الفصائل الثقيل من المنطقة المنزوعة السلاح وإخراج الفصائل المتطرفة منها، وفتح الطرق الدولية. أتاح الاتفاق أيضاً لأنقرة النجاح في وقف الهجمات على مطار حميميم، وكانت أنقرة اتهمت تحرير الشام بشنها، ومنع الهجمات الصاروخية المجهولة على مدينة حلب بحسب التزامها في قمة طهران.

وشكل تفسير حدود المنطقة المنزوعة السلاح أولى نقاط الخلاف بين المعارضة والنظام، رغم وضوح البند الثالث الذي نص صراحة على أن المنطقة العازلة تكون داخل منطقة «خفض

<sup>17</sup> عنب بلدي، «تمرير الشام تعرض بنود اتفاق كفريا والفوعة»، عنب بلدي، 18 تموز 2018، <https://www.enabbaladi.net/archives/241555>

<sup>18</sup>أغلبهم معقلون جدد في المناطق التي سيطر عليها النظام مؤخراً، في حين رفض الأخير اخراج أي من معتقلي عام 2011 و2012، أو حتى معتقلي 2016 (وقد قتلت 700 من هؤلاء العودة لاحقاً إلى مناطق سيطرة النظام وعدم دخول مناطق المعارضة).

<sup>19</sup> ديلي صباح، «تركيا تعتبر استئناف الولايات المتحدة لعقوبات النفط والغاز على إيران خطأً ومخالفاً بالاستقرار (بالإنكليزية)»، ديلي صباح، 6 تشرين الثاني 2018، <https://www.dailysabah.com/economy/2018/11/07/turkey-sees-us-resumption-of-oil-gas-sanctions-on-iran-as-wrong-destabilizing>

التصعيد» أي في أراضي المعارضة. إلا أن الجانب التركي أكد لقادة الفصائل السورية في البداية أن المنطقة المحددة ستقسم بين أراضي النظام وأراضي المعارضة وأن النظام سيقوم أيضاً بسحب قواته بالعمق نفسه. وبعد أسبوعين من توقيع الاتفاق في نهاية أيلول، جرى اجتماع سري في هاتاي جنوب تركيا، أخبر خلاله مسؤولو الحكومة التركية المعنيون بالملف السوري قادة الفصائل بأن المنطقة المنزوعة السلاح ستكون مقطعة من أراضي المعارضة.

ويعتبر بند خروج المنظمات الإرهابية من منطقة 20 كم أبرز بنود الاتفاق، فهو يختبر قدرة تركيا على فرض الاتفاق. يشكل خروج السلاح الثقيل الإجراء الوحيد الذي تحقق في المرحلة الأولى من تطبيق الاتفاق والمحدد بتاريخ 10 تشرين الأول 2018. حيث أخرجت الفصائل المعتمدة المتمثلة بالجبهة الوطنية للتحرير وجيش العزة<sup>20</sup> سلاحها الثقيل من المنطقة منزوعة السلاح (20 كم في مناطق سيطرة المعارضة)<sup>21</sup>، فيما تعاملت تحرير الشام والحزب الإسلامي التركستاني مع مسألة سحب السلاح الثقيل كما تعاملت الفصائل المعتمدة، لكنها أخرجت سلاحها الثقيل ليلاً من دون إعلان.<sup>22</sup>

وكانت الفصائل المعتمدة نقلت كامل دباباتها سابقاً إلى منطقة عقربات وأطمة بالقرب من الحدود التركية كي لا يطالها القصف الجوي الروسي، خصوصاً بعدما سلمت الفصائل كامل إحداثياتها لتركيا، والتي سلمتها بدورها إلى روسيا مع بدء مسار آستانة في كانون الثاني 2017 كي لا يطالها القصف.<sup>23</sup>

وعليه، بقي البند السابع من اتفاق سوتشي والمتعلق بتسيير دوريات على حدود المنطقة العازلة غير واضح، وأبلغت أنقرة قادة الفصائل إن الشرطة العسكرية الروسية لن تدخل المنطقة نهائياً، فيما ستقتصر المراقبة الروسية للمنطقة على طيران الاستطلاع، الذي قام برصد كامل المنطقة مع تركيز على تلك الواقعة شرق طريق M5.

<sup>20</sup> جيش العزة هو أحد فصائل الجيش الحر العاملة في شمال غرب سوريا ومركزه الرئيسي بلدة اللطامنة في ريف حماة الشمالي، يقوده الرائد جميل الصالح وكان سابقاً ينافي دعمه من مركز الموم.

<sup>21</sup> الجزيرة، «المعارضة تسحب سلاحها الثقيل من المنطقة العازلة بإدلب»، الجزيرة، 7 تشرين الأول 2018، <https://bit.ly/2R87d4y>.

<sup>22</sup> الحياة، «نصرة تسحب سلاحها الثقيل من خطوط التماس في إدلب»، الحياة، 10 تشرين الأول 2018، <https://bit.ly/2Fc65Xc>.

<sup>23</sup> مصدر خاص للباحث، أحد قادة الفصائل العسكرية في إدلب، 12 تشرين الثاني 2018.

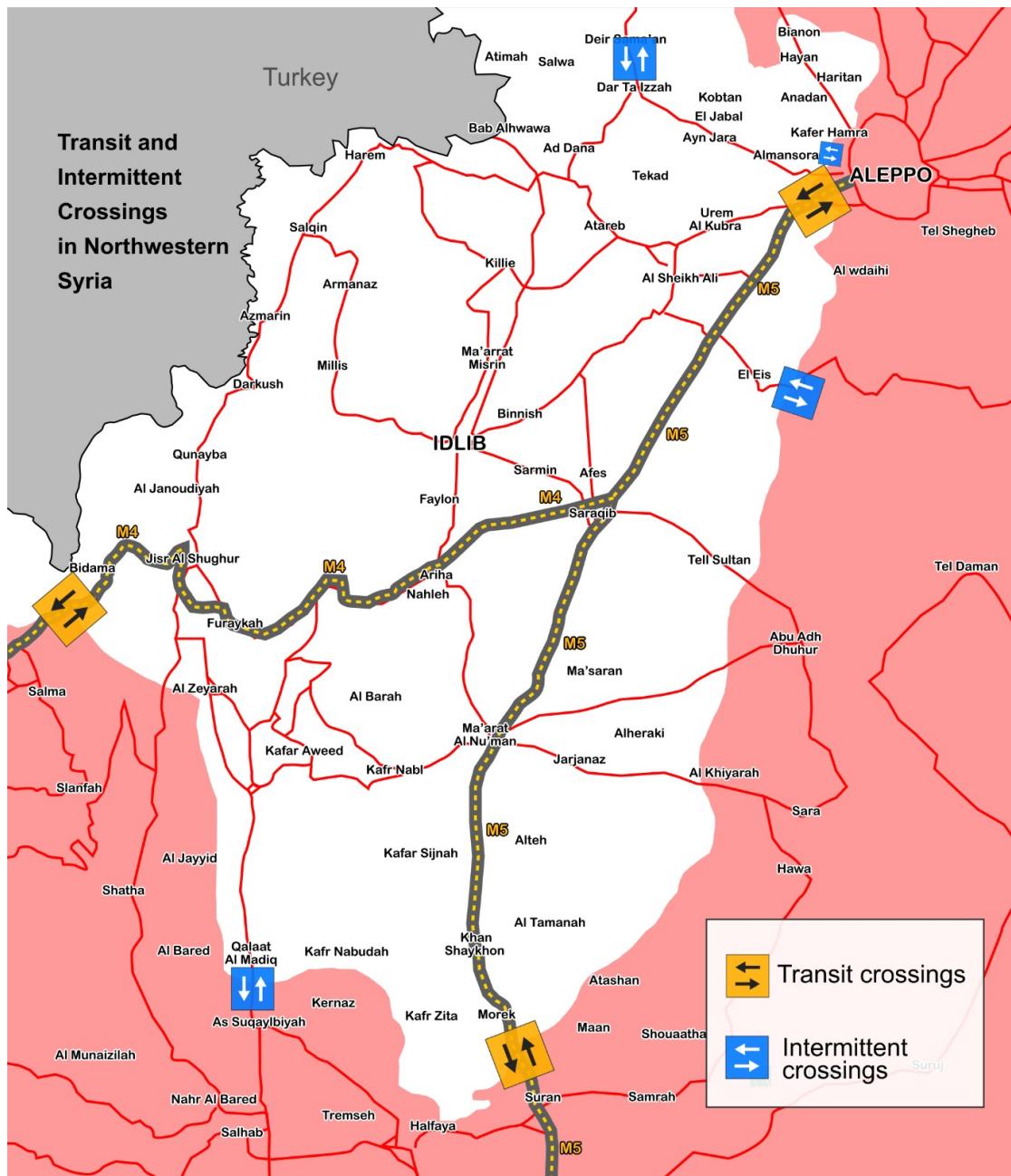
وبعد إبعاد السلاح الثقيل من المنطقة، ترکز اهتمام موسکو على فتح طرق الترانزيت<sup>24</sup> وهو ما أعطته أولوية على إخراج الفصائل المتطرفة من المنطقة المنزوعة السلاح الثقيل أو تطبيق باقي البنود، رغم تشكيكها بوجود الفصائل في المنطقة.<sup>25</sup>

وقد أشار نص الاتفاق إلى استعادة الحركة على الطرق الدولية، ولم يحدد صراحة آلية تشغيل الطريقين M 4 وM 5 الذي تسيطر على أجزاء كبيرة منه تحرير الشام، وتحديداً معبر مورك الذي تشرف عليه الشرطة العسكرية الروسية من الجانب الآخر، كما تسيطر تحرير الشام بطبيعة الحال على منطقة الراشدين، وهي نقطة نهاية طريق M 5 قرب مدينة حلب.

---

<sup>24</sup> جلال طلال سلمي، «ما وراء فتح الطرق الدولية في سوريا»، جبرون، 4 تشرين الثاني 2018،  
وانظر أيضاً ضياء عودة، «إدلب اقتصادياً.. موارد زراعية وخطوط تجارية قد تتعشّها»، عن بلدي، 13 كانون الأول 2018،  
<https://www.enabbaladi.net/archives/257332>

<sup>25</sup> سبوتنيك نيوز، «موسكو: المنزوعة السلاح في إدلب تواجه صعوبات رغم جهود تركيا»، سبوتنيك نيوز، 22 تشرين الثاني 2018،  
<https://bit.ly/2scC0hI>



خرائطة (١) : خريطة توضح طرق الترانزيت والمعابر المقررة عليها، إضافة إلى المعابر المؤقتة بين النظام والمعارضة.  
كانون الثاني 2019. (إعداد الباحث وتصميم حازم النايف) ٨

### التحديات التركية

بذلت تركيا جهداً كبيراً لعدم خسارة منطقة نفوذها في إدلب، متمسكة بها لعدة اعتبارات أمنية وسياسية. وهي ترسم استراتيجية للبقاء طويلاً، بحسب تصريح لأردوغان قال فيه «سنغادر سوريا

ونتركها لأهلها بعد أن يجري شعبها انتخاباته»<sup>26</sup>. وإذا سلمنا جدلاً بأن إيران وروسيا قد أوكلا لتركيا حل عقدة إدلب، فإنها تواجه عدة تحديات متعلقة بالمنطقة يمكن تلخيصها بالتالي:

أولاً، عدم مقدرة أنقرة على وقف الخرق المتكرر والكبير للاتفاق من جانب النظام وإيران.<sup>27</sup> ويعتبر تسلل قوات خاصة من إيران وحزب الله أبرز هذه الخروقات مؤخراً، وقد أدى إلى مقتل 23 مقاتلاً في جيش العزة في 9 تشرين الثاني 2018. وهو ما بدأ يشكل رأياً عاماً مشككاً بجدوى الاتفاق وبمقدار تركيا على حماية المدنيين في إدلب.

ثانياً، من الصعوبة بمكان أن تحكم تركيا بالعدد الهائل للمقاتلين المحسدين في إدلب، والذين يقدر عددهم بنحو 60 ألف مقاتل.<sup>28</sup>

ثالثاً، تعاني تركيا من تحدي إجبار الفصائل المتطرفة كتحرير الشام والفصائل المباعدة لقاعدة على الانسحاب من المنطقة المنزوعة السلاح، والذي لم يجر بحسب التاريخ المقرر في 15 تشرين الأول 2018، ما يشكل تهديداً آخر للاتفاق. وبالفعل لا تزال مقرات تحرير الشام ومقرات الفصائل المباعدة لقاعدة مفتوحة كما كان عليه الحال قبل الاتفاق. يضاف إلى ذلك استمرار الخروقات من قبل الفصائل المباعدة لقاعدة واستمرار عملياتها ضد النظام في غرب محافظة إدلب في بعض المناطق (انظر الجزء الثاني).

أخيراً فإن تردي الأوضاع الاقتصادية بشكل كبير يشكل ضغطاً غير مباشر على تركيا، حيث يزداد عدد النازحين، ويتراجع الدعم الأميركي والأوروبي، وتشح الموارد وفرص العمل، ما يسلط الضوء على واقع غياب أي هيكل محلي قادر على تقديم الحد الأدنى في قطاعات التعليم والصحة والطاقة. لذلك يبرز الفراغ الاقتصادي والإداري الذي ينبغي على تركيا ملؤه في المناطق الخاضعة لنفوذها ودعم تلك المناطق.

<sup>26</sup> روبيتز، «تركيا لن تغادر سوريا حتى يقوم الشعب بالانتخابات بنفسه، يقول أردوغان (بالإنكليزية)»، روبيتز، 4 تشرين الأول، 2018، <https://reut.rs/2QBaP9W>، <https://www.aljazeera.net/news/international/2018/10/4>، 2018، <https://bit.ly/2Faqknb>، 27 المدن، «الطلامة: تسلل ناجح لميليشيات النظام»، المدن، 9 تشرين الثاني 2018، <https://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/view/round-one-of-idlib-campaign-may-target-turkish-backed-rebels>.

<sup>27</sup> ويقدر خبراء آخرون عدد المقاتلين بنحو 90 ألف مقاتل. فابريس بالوتش، «الجولة الأولى من الحملة على إدلب قد تستهدف المتمردين المدعومين من تركيا»، معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى، 11 أيلول 2018،

<https://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/view/round-one-of-idlib-campaign-may-target-turkish-backed-rebels>.

## الجزء الثاني: مسار الفصائل المقاتلة في إدلب

لم تقبل الفصائل المباغعة للقاعدة اتفاق سوتشي، وشكلت غرفة عمليات عسكرية ضده في غرب إدلب، فيما وافقت عليه تحرير الشام بصمت وسحب سلاحها. وتبقى تحرير الشام أهم معادلة في تطبيق الاتفاق، ولذلك لجأت تركيا إلى الحد من تأثيرها من خلال استمرار الضغط عليها وتقسيمها إلى جماعات. ويترافق اتفاق سوتشي مع حالة فلتان أمني واقتتال وتقاسم نفوذ بين فصائل المعارضة وتحرير الشام.

### غرفة عمليات مضادة

لم ينل اتفاق سوتشي موافقة كافة فصائل المعارضة. فقد جاہرت ثلاثة فصائل جهادية تتبع تنظيم القاعدة برفضها للاتفاق واعتباره تخلياً صريحاً عن «الجهاد». وفي 15 تشرين الأول 2018 شكلت هذه الفصائل، وهي تنظيم حراس الدين وجبهة أنصار الدين وجماعة أنصار الإسلام، غرفة عمليات عسكرية باسم «وحضر المؤمنين»، واستمرت بتنفيذ بعض العمليات ضد موقع للنظام. وخرقت هذه الفصائل الاتفاق عدة مرات، كان أبرزها الهجوم على محور السرمانية غربي إدلب في 16 تشرين الثاني 2018 وأسفر عن مقتل 23 جندياً<sup>29</sup>. وهجوم آخر في 28 تشرين الثاني 2018 على منطقة جبل الأكراد في ريف اللاذقية، قُتل فيه المهاجمون ولم تُعرف أعداد قتلى النظام.

ويعتبر تنظيم حراس الدين أبرز الفصائل المناهضة للاتفاق بشكل علني، وتأسس على مرحلتين، الأولى في تموز 2016 والتأسيس الثاني الرسمي في آواخر شباط 2018. على خلفية انشقاق التيار القاعدي من هيئة تحرير الشام، ممثلاً بالشرعى العام الأسبق لجبهة النصرة سامي العريدي والمُسؤول في الجبهة أبو جليبيب الأردني (إياد الطوباسي)، وهو صهر أبو مصعب الزرقاوي. انشق هذا التيار عن هيئة تحرير الشام بعد أن قام أبو محمد الجولاني – قائد تحرير الشام حالياً وجبهة النصرة سابقاً – باعتقال العريدي والطوباسي لعدة أيام.<sup>30</sup>

وسعى المعترضون الأردنيون على قرار الجولاني القاضي بجواز دخول القوات التركية إلى تشكيل تنظيم يجمعهم. وشكلوا مع أبو همام الشامي (سمير حجازي، المعاصر لأسامه بن لادن وأمين

<sup>29</sup> فيسبوك، صفحة سلح اون لайн المقربة من النظام؛ ومقابلة مصورة مع أبو عبد الله الساحلي الناطق باسم غرفة العمليات المذكورة. <sup>30</sup> حدا ذلك بقائد تنظيم القاعدة أيمن الظواهري للتدخل آنذاك بتسجل فيه هيئة تحرير الشام أو جبهة النصرة قائلاً: «لم يحل أحداً من البيعة، لا جبهة النصرة ولا غيرها، ولم أقل إن تكون بيعة جبهة النصرة سرية». علاء الدين إسماعيل، «اعتقال تحرير الشام قياديين من القاعدة يزيد الصراع بين الظواهري والجولاني»، الشرق الأوسط، 30 تشرين الثاني 2017، <https://aawsat.com/home/article/1099011/>. وقد أخرج الجولاني القياديين على إثرها، ليتحقق بهما لاحقاً كل من أبو خديجة الأردني (بلال خريصات) وهو القائد الأمني والشرعى لجبهة النصرة في جنوب سوريا، وأبو حسين الأردني (محمد سليم الخطيب) والذي شغل منصب قائد جيش النصرة أو القوة المركزية في النصرة سابقاً. وبارك هؤلاء الفلسطيني-الأردني أبو محمد المقدسي (عصام البرقاوي) وهو أبرز منظري السلفية الجهادية. منه باريش، «عقدة إدلب بين المقاتلين الأجانب ودول ترفض عودة أبنائهما الصالين»، تلفزيون سوريا، 25 آب 2018، <https://bit.ly/2Fad4ix>.

الظواهري) تنظيم حراس الدين بعد ضم الكتائب المنطرفة مثل جند الملاحم وجند الشريعة ومن تبقى من تنظيم جند الأقصى إليه. وُعين سامي العربي قائداً للتنظيم الوليد، ويقدر عدد عناصره بحوالي 1,800 عنصر، أغلبهم من المهاجرين العرب والأجانب.

أما جبهة أنصار الدين فهي من الفصائل التي غادرت تحرير الشام مطلع شباط 2018 بسبب استفراد الجولاني بالقرار وعدم تفعيل مجلس الشورى، حيث استقال قائد أنصار الدين الملقب بالدكتور أبو عبد الله الشامي من مجلس الشورى.<sup>31</sup> ويتركز نشاط أنصار الدين في ريف حلب الجنوبي وسهل الغاب الشمالي، والفصيل هو أصغر الفصائل الثلاثة ويتحدر أغلب مقاتليه من منطقة جبل التركمان، ما يجعله قوة محلية إلى حد كبير.

### كيف ستحل معضلة تحرير الشام؟

في شهر آب 2018، قدمت أنقرة خطة لحل معضلة تحرير الشام تبدأ بأن تحل الهيئة نفسها وينضم المقاتلون السوريون فيها إلى الجبهة الوطنية،<sup>32</sup> ومن ثم «إيجاد آلية» للمقاتلين الأجانب لـ«الخروج من سوريا بعد توفير ضمانات». وتشمل عملية «العزل» أو «التحييد» أو «الإبعاد» المقاتلين الأجانب الموجودين في حراس الدين والحزب الإسلامي التركستاني. بعد رفض هيئة تحرير الشام العرض، وانقضاء المهلة الزمنية التي منحتها إياها أنقرة، نفذت الأخيرة تهديدها وأدرجت الهيئة على لائحة الإرهاب في 31 آب 2018 بمرسوم رئاسي. لكن رغم تصنيفها كمنظمة إرهابية، بقي الخط الساخن مستمراً ونجح الطرفان بإرضاء بعضهما البعض، حيث قبلت أنقرة، بحسب مراقبين، قيام تحرير الشام بإبعاد السلاح الثقيل من دون إعلان صريح.

وأصدرت تحرير الشام بياناً قبل ساعات من انتهاء المهلة التي تحدد خروجها من المنطقة المنزوعة السلاح،<sup>33</sup> شكرت فيه تركيا من دون أن تسميتها، كونها منعت اجتياح المنطقة وارتكاب المجازر فيها، وذلك في محاولة منها لتبنيت قبولها بالاتفاق ولو بشكل غير مباشر وتجدid أهليتها للمشاركة بالمرحلة الثانية المتعلقة بفتح الطرق الدولية.

فشل أنقرة بعد مفاوضات طويلة بإقناع تحرير الشام بحل نفسها والاندماج في الجبهة الوطنية للتحرير. وفي آب 2018، وبينما كانت تركيا تضغط على تحرير الشام لحل نفسها، أطلق عدد من قادة تحرير الشام تصريحات قوية ضد هذا المشروع. وعلق الشرعي العام السابق والقيادي البارز

<sup>31</sup> عن布 بلدي، «أنصار الدين تنشق عن تحرير الشام.. ثلاثة تشكيلات بقية!»، عن布 بلدي، 09 شباط 2018، <https://www.enabbaladi.net/archives/205568>

<sup>32</sup> حسن أبو هنية، «معركة إدلب واهام حول تحرير الشام»، عربي 21، 9 أيلول 2018، <https://bit.ly/2QrlbcD>

<sup>33</sup> الدرر الشامية، «تحرير الشام تخرج عن صمتها وتعلن موقفها من اتفاق سوتشي»، الدرر الشامية، 14 تشرين الأول 2018، <https://eldorar.com/node/126884>

في تحرير الشام مظهر الويس<sup>34</sup> على المطالبة بحل الهيئة على تلغرام قائلاً: «من يتحدث عن حل الهيئة فعليه أن يحل الأوهام والوسوس في عقله المريض»، محذراً من أن سلاح الهيئة «خط أحمر» ومهدداً بـ«قطع اليد» التي ستنتمي إليه. وصدر موقف مشابه لأبرز قادة تحرير الشام، مثل شرعى الجناح العسكري أبو اليقطان المصري الذي يعتبر من صقور التنظيم (وسبق أن افتقى بقتل مقاتلى أحرار الشام)، إضافة لـأبو ماريا القحطاني قائد المنطقة الشرقية في جبهة النصرة سابقاً، وأبو الفتح الفرغلي عضو مجلس شورى تحرير الشام.<sup>35</sup>

وتشير هذه التصريحات إلى إجماع في صفوف تحرير الشام على حماية سلاح التنظيم، كما تنفي وجود أي خلافات جدية داخل قيادة تحرير الشام فيما يتعلق بالاتفاق، كما تناقضت بعض التقارير الإعلامية. فالتيار الأكثر راديكالية انشق في صيف 2017 اعترضاً على دخول الجيش التركي إلى إدلب وتثبيت نقاط مراقبة تركية.<sup>36</sup> ويأتي حديث المتابعين والمحللين عن وجود جناح مصرى متشدد يقوده أبو اليقطان المصري ضد الجولاني، غالباً نتيجة سوء تقدير لصلاحيات دور أبو اليقطان الذى يشغل منصب شرعى الجناح العسكري ويقتصر دوره على القيام بالدعائية والتجييش للمقاتلين في المعارك.

وتمارس تركيا من جهتها سياسة الضغط المستمر على قيادة تحرير الشام. نتج عن ذلك، كما سبق وذكرنا، قبول الأخيرة بدخول الجيش التركي إلى إدلب في تشرين الأول 2017 وتثبيت 12 نقطة بعد التهديد بعمل عسكري ضدها. كما قامت تركيا بنقل آلاف الجنود ومئات العربات والدبابات إلى إقليم هاتاي على حدودها الجنوبية الغربية مع سوريا، وحشدت مئات المقاتلين السوريين من منطقة درع الفرات عبر أراضيها لزجهم بالمعركة ضد تحرير الشام نهاية أيلول 2017. وبدأت القوات التركية بفتح ثغرات في الجدار العازل الذي بنته على طول حدودها مع سوريا،<sup>37</sup> ووقتها تم استهداف القوات التركية من قبل عناصر تحرير الشام في منطقة كفرونسين شمال معبر باب الهوى. إلا أن تحرير الشام وافقت في النهاية على دخول القوات التركية شريطة عدم دخول أي من عناصر فصائل درع الفرات معها، وقيامتها (أي تحرير الشام) بمرافقته القوات التركية إلى النقاط المحددة والإشراف على عملية تأمين النقاط أمنياً من الخارج ومرافقته أرتال التبديل والتمويل لتلك النقاط.

<sup>34</sup> منهل باريش، «لكي لا تتكرر سيناريوات حلب...»، مصدر سابق.

<sup>35</sup> عنب بلدي، «ثلاث شخصيات توكل على الجهاد وترفض حل تحرير الشام»، عنب بلدي، 27 تموز 2018، <https://www.enabbaladi.net/archives/248603>

<sup>36</sup> منهل باريش، «عقدة إدلب...»، مصدر سابق.

<sup>37</sup> بي بي سي عربي، «عربات تابعة للجيش التركي تدخل إدلب شمالي سوريا»، بي بي سي عربي، 08 تشرين الأول 2018، <http://www.bbc.com/arabic/middleeast-41545850>

وهو ما قالت به أنقرة، التي كان همها نشر النقاط بأقل الأضرار الممكنة، وتنبيه وجودها على الأرض بشكل سريع قبل إظهارها بمظهر العاجز عن الوفاء بالتزاماته أمام روسيا وإيران.

ونجحت السياسة التركية بشق صف تحرير الشام عدة مرات. فمنذ الاقتال الذي حصل بينها وبين حركة أحرار الشام في تموز 2017، خرجت حركة نور الدين الزنكي ومعها جيش الأحرار من الهيئة، بالإضافة إلى شرعيين داعمين لها أمثال السعوديين عبد الله المحيسي ومصلح العلياني والشيخ السوري عبد الرزاق المهدي، وتواترت الانشقاقات وصولاً إلى انشقاق غالبية العناصر التي تتبع للظواهري ردأً على موافقة الجولاني والدائرة المقربة منه دخول القوات التركية إلى إدلب.<sup>38</sup> نجح المخطط التركي جزئياً إذاً بطرد التيار الأكثر راديكالية (تيار الظواهري) فغادر القسم الكبير من المقاتلين الأجانب وانتقلوا إلى التنظيم الجديد حراس الدين، وبقي التيار الذي يمكن وصفه مؤخراً بـ«تيار السياسة الشرعية»، وهو الذي أسسه الجولاني.

ومن الواضح أن تركيا، وتحت ضغط روسي شديد، لن تمانع بتوكيل مسؤولية أمن الطريق إلى تحرير الشام، كما حصل في اختبار نشر النقاط التركية، فأولويتها هي تطبيق الحد الأدنى من بنود الاتفاق، بما يرضي روسيا التي تنظر إلى الاتفاق على أنه مرحلٍ تنتهي مدة مع نهاية 2018. ولكن إلى ذلك الحين، فهو يحقق مكاسبها المتواصلة والهادئة في التخفيف من خطر الفصائل المعارضة وقضم أراضٍ جديدة وتعزيز قبضة النظام في شمال غرب سوريا (كما حصل في منطقة شرق سكة قطار الحجاز نهاية عام 2017 وبداية 2018).

#### تيار السياسة الشرعية

كشفت تحرير الشام المعسكرات الشرعية لتبرير تعاطيها السياسي مع تركيا أمام مقاتليها. وبدأت تلك الدورات بالتركيز على المصلحة الشرعية في عدم الصدام مع تركيا، وهو الموقف الذي تبلور في حادثتين: أولاً عدم اغلاق تركيا باب الهوى من جانبها بعد سيطرة تحرير الشام عليه في 23 تموز 2017، ودعم تركيا الكبير لتشكيل حكومة الإنقاذ.

هذا التطوران شكلاً قناعة لدى الجولاني والقيادي البراغماتي أبو ماريا القحطاني والجناح السياسي المتمثل بيوف اللهم، أنه يمكن للهيئة التعاطي مع تركيا والتعاون معها، خصوصاً أن اختبارات عدة أثبتت أن تركيا لم ت تعرض على سلوكياتها منذ بدء حربها على الفصائل نهاية 2014 وبداية 2015. بل التقطت القيادة مؤشرات الغضب التركي من أحرار الشام بسبب رفضها حضور

<sup>38</sup> علاء الدين إسماعيل، «اعتقال تحرير الشام قياديين...»، مصدر سابق.

مؤتمراً أستانة الأول في 23-24 كانون الثاني 2017<sup>39</sup> ومن وقتها بادرت تحرير الشام فوراً برسم خطة حرب ضد أحرار الشام، لتسطير على كامل الشريط الحدوبي نهاية تموز 2017. وهو ما زاد من ثقة تحرير الشام في قدرتها على المناورة بهدف الحفاظ على نفسها وقطع الطريق على فيلق الشام المقرب من تركيا والمعتبر ذراعها العسكري في إدلب.

وعقد مجلس الشورى في تحرير الشام اجتماعات مكثفة لبلورة مرجعية للسياسة الشرعية، تسمح للهيئة بالمناورة والتعاطي السياسي من دون مخالفة الشرعية. وما دام الهدف هو الحفاظ على الجهاد وتماسك الهيئة وحفظ سلاحها، بحسب أعضاء مجلس الشورى، فإن الانخراط في السياسة مشروع. أفضت تلك النقاشات إلى تأليف كتاب «أصول وضوابط السياسة الشرعية»، الذي أشرف عليه وقدم له أبو قتادة الفلسطيني وأبو الحارث المصري.<sup>40</sup>

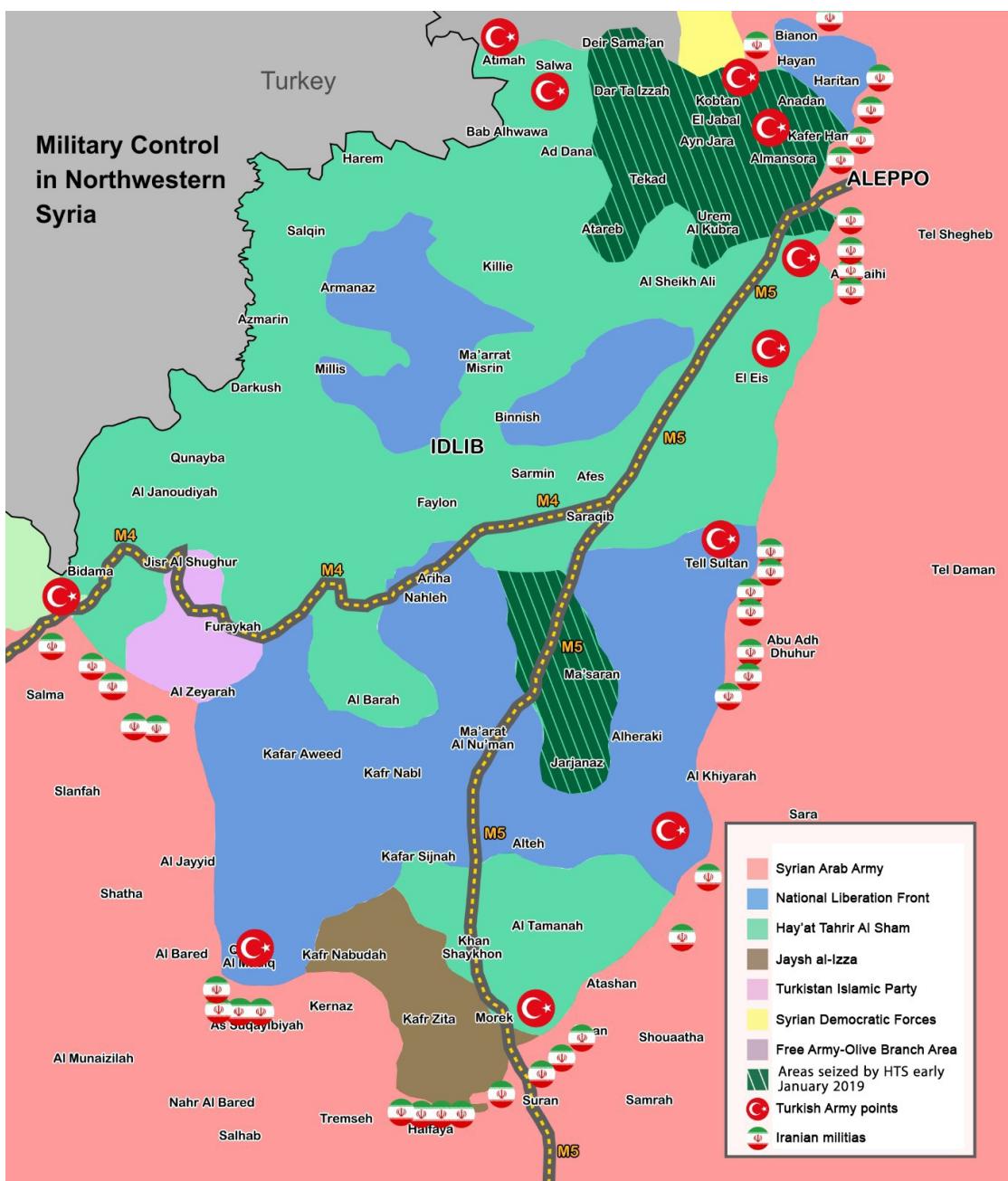
وجاءت هذه السياسة كجزء من حملة تحرير الشام لتبرير السماح بالتعامل مع تركيا من وجه نظر شرعية، وهو ما ظهر في تسجيلات صوتية ساجل فيها الداعية الجهادي المقرب من تحرير الشام والمقيم في لندن أبو محمود الفلسطيني ضد قادة من تنظيم حراس الدين.<sup>41</sup> وقد نفى أبو محمود الفلسطيني لحراس الدين أن تكون الهيئة انسحبت من إدلب، وطالبهم بتركها توازن الأمر، وحذر من المواجهة بين «المجاهدين» وتركيا لأنها ستكون مهلكة، وسيقوم الروس بمسح إدلب على غرار ما حصل في الرقة والموصل.

<sup>39</sup> لقاءات الباحث مع حاضرين في اجتماع أقرة، منهم عدد من قادة الفصائل، قبيل جولة أستانة الأولى والثانية في كانون الثاني وشباط 2017.

<sup>40</sup> أبو الفتح الفرغلي (عضو مجلس شوري تحرير الشام)، أصول وضوابط السياسة الشرعية.

<sup>41</sup> منهـل بـارـيشـ، «ـثـلـاثـ مـنـاطـقـ الـمعـارـضـةـ بـلاـ سـلاحـ ثـقـيلـ وـرـوـسـياـ تـقـرـرـ ضـقـيـرـ هـاـ عـلـىـ اـنـقـاقـ سـوـشـيـ»، الـقـدـسـ الـعـرـبـيـ، 6ـ تـشـرـينـ الـأـولـ 2018ـ، <https://bit.ly/2RdlEnS>

## فلتان أمني وتقسيم مناطق نفوذ محلية



خريطة (2): مناطق استولت عليها تحرير الشام في أوائل كانون الثاني 2019. (إعداد الباحث وتصميم حازم النايف)

منذ مؤتمر آستاناء الأول في كانون الثاني 2017، ووقف القتال بين المعارضة والنظام في أغلب المناطق السورية بما فيها إدلب، تحول فائض القوة لدى الفصائل إلى تصفية حسابات داخلية بينها وحرب صراع على الموارد. بدا ذلك واضحًا في حرب تحرير الشام على حركة أحرار الشام الإسلامية. كان هدف هذه الحرب السيطرة على معبر باب الهوى، الذي كان مصدرًا أساسياً لموارد أحرار الشام المالية، بالإضافة إلى مصادر أخرى (مستودعات السلاح الكبيرة، وما كانت تتحكم

به الأخيرة من تيار كهربائي يصل إلى مناطق المعارضة، وكذلك مستودعات الحبوب والأعلاف). ونجحت تحرير الشام في السيطرة على المعبر وعلى المستودعات الكبرى في تموز 2017.

وفي آذار 2018 تجدد الاقتتال وتحول إلى حرب بين تحرير الشام من جهة وحركة نور الدين الزنكي وأحرار الشام وصقور الشام من جهة أخرى، طردت على إثرها تحرير الشام من معرة النعمان وأريحا كبرى مدن محافظة إدلب، في حين وسعت حركة الزنكي مناطق سيطرتها في ريف حلب الغربي مع طرد تحرير الشام من دارة عزة، البوابة الجنوبية لغرين ونقطة الوصل بين ريف حلب الغربي الذي تسيطر عليه الزنكي والحدود التركية. وكذلك سيطرت حركة أحرار الشام على قطاع واسع في منطقة سهل الغاب شمال غرب حماة، أحد أبرز معاقلها.

وامتنعت أغلب الفصائل المعتدلة عن خوض هذه المعارك ضد تحرير الشام إلى جانب حركة الزنكي وأحرار الشام وصقور الشام في جولتي الاقتتال (الأولى في تشرين الثاني 2017 والثانية في آذار 2018). وانتظرت فرار أنقرة بباء المعركة، خاصة أن الأخيرة رأت في القتال تهديداً لقدرتها على ترتيب الوضع في إدلب على طريقتها. كما أن أنقرة لا تفضل انتصار الزنكي لكونها تعتبره فصيلاً غير منضبط ولا يدين بالولاء لها. لذلك منعت فيلق الشام وبباقي الفصائل من التدخل بالمعركة، وتركت الصراع يتواصل لأنه عملياً سيؤدي إلى إنهاء جميع الفصائل المشاركة فيه، وهو بالفعل ما حصل، خاصة أن حركة الزنكي ليس لديها دعم بالذريعة من تركيا. وسبق أن خسرت أحرار الشام أغلب مستودعاتها الاستراتيجية في حربها الأولى مع تحرير الشام، ووقعت خسائر بشرية فادحة في صفوف الأخيرة خصوصاً في ريف حلب الغربي، وتزامن ذلك مع حرب تحرير الشام شرق وغرب سكة قطار الحجاز لمدة أربعة شهور نهاية عام 2017 وبداية عام 2018، والتي قال عنها الجولاني مؤخراً إنه خسر فيها 700 مقاتل و1600 جريح.<sup>42</sup>

وبحسب رصد ميداني أجراه الباحث، ارتفعت منذ أيار 2018 موجة الاغتيالات، وكانت لا تزال مستمرة حتى كتابة هذه السطور، بين مختلف الأطراف المتنازعة. وعرفت هذه الموجة ذروة غير مسبوقة في شهر أيلول 2018 تزامناً مع اتفاق سوتشي. وتتركز عمليات الاغتيال على القادة الأمنيين والعسكريين. ولم تتوقف حوادث التصفيات منذ عامين في مختلف المناطق ما عدا منطقة ريف حلب الغربي، التي لم تشهد خرقاً أمنياً يسجل خلال السنوات الماضية حتى تاريخ 31 كانون الأول 2018 بسبب السيطرة المحكمة للجناح الأمني في الزنكي عليها سابقاً.

<sup>42</sup> الدرر الشامية، «تحرير الشام تكشف عن خسائر النظام الفادحة في معارك شرق السكة»، الدرر الشامية، 23 تشرين الثاني 2018، <https://eldorar.com/node/128352>

وفي كانون الأول 2018 كانت هناك درجة ملحوظة من الاستقرار الأمني في مدینتي أريحا ومعرة النعمان بعد طرد تحرير الشام منها في شباط 2018، فيما انتقل الفلتان الأمني من تصفيات بين العسكريين إلى المدنيين وخصوصا أصحاب الأموال والدخل المرتفع.<sup>43</sup> ويتعزز القطاع الطبي بدوره إلى استهداف منهج، فقد تم خطف عشرات الأطباء ولم يفرج عنهم إلا بعد دفع فديات مالية كبيرة.<sup>44</sup> وتحول الخطف إلى اقتصاد قائم بذاته يتعرض له التجار والصرافون وصاغة الذهب، وتقوم به غالباً عصابات يعتقد أنها مرتبطة بهيئة تحرير الشام.<sup>45</sup> وطالت التصفيات كل المهربيين على الحدود التركية، الذين يعملون أساساً بتخليس وشراكة مع أمني قطاع الحدود في هيئة تحرير الشام، بحسب وثائق مسربة من القطاع المذكور اطلع عليها الباحث.

وفي 2 كانون الثاني 2019، خاضت تحرير الشام حملة جديدة ضد حركة الزنكي أسفرت عن هزيمة الأخيرة وإبعادها إلى عفرين. وقد سيطرت تحرير الشام بعد هذه الحملة على ريف حلب الغربي كاملاً، وعلى معبر المنصورة الذي فتحته الزنكي مع مناطق سيطرة النظام في حلب، وسيطرت على بلدة دارة عزة الاستراتيجية والتي تعتبر الطريق الوحيدة بين إدلب وعفرين، ما أنهى عملياً سيطرة الزنكي على أجزاء من طريق حلب - حماه بالقرب من بلدة خان العسل. واستكمالاً لبسط سيطرتها على طرق الترانزيت، تهدد تحرير الشام بالقضاء على صقور الشام وأحرار الشام اللتين تسيطران على مدینتي معرة النعمان وأريحا. وفي حال سيطرتها على طريقي الترانزيت م 4 و 5 يتوقع أن تقوم الهيئة بفتح الطرق الدولية برعاية تركية.

وبسبب تحرير الشام استياءً عاماً ضدها بسبب حروبها المتكررة ضد الفصائل، وتشكيلها حكومة إنقاذ منفردة، وتضييقها على النشطاء ومنظمات المجتمع المدني والمنظمات الإنسانية، وتدخلها الحاد بملابس البنات في المدارس وفرضها على الطلاب الطويلة، وسيطرتها على الجامعات التابعة للحكومة المؤقتة. لذلك فإن قرار القضاء عليها كان سلالقي ترحيباً واسعاً لدى الشرائح المتضررة من ممارساتها، والتي تشكل نسبة كبيرة من السكان هناك.

### الجزء الثالث: مستقبل الإدارات المدنية في ظل اتفاق سوتشي

كانت هيئة تحرير الشام، وبعد سيطرتها على الحدود التركية السورية في شمال غرب سوريا، وطردتها حركة أحرار الشام من معبر باب الهوى في 2 تشرين الثاني 2017، شكلت حكومة الإنقاذ

<sup>43</sup> المدن، «إدلب: فوضى وترقب»، المدن، 21 آب 2018، <https://bit.ly/2RfGJ1e>.

<sup>44</sup> شبكة شام، «في ظل استمرار حالة الفلتان الأمني... مجهولون يخطفون الطبيب خالد دقسي من عيادته غربي مدينة إدلب»، شبكة شام، 10 تشرين الثاني 2018، <https://bit.ly/2QmUwO9>.

<sup>45</sup> مرصد الشمال السوري، «الحدود السورية التركية، قتل مجاني و MAVIAT تهريب متعلمة مع هيئة تحرير الشام»، مرصد الشمال السوري، 13 آذار 2018، <https://bit.ly/2Qu35qh>.

بعد دعوتها إلى المؤتمر السوري العام الذي انتخب هيئة تأسيسية لتكون مرجعية لحكومة الإنقاذ، وجرى المؤتمر العام بتسهيل تركي وسماح بالدخول والخروج من سوريا لعدد من المعارضين المقربين من أنقرة، والذين عُين أحدهم، وزيراللإسكان وإعادة الإعمار في حكومة الإنقاذ الأولى.

وكان من الممكن أن يشكل خروج الفصائل المتطرفة من المنطقة المنزوعة السلاح التحيل فرصة لكسر هيمنة تحرير الشام على المجالس المحلية في ريف حلب الجنوبي وإدلب وريف اللاذقية، كما سبق أن انعكس خروج تحرير الشام في معرة النعمان وأريحا وريف حلب الغربي إيجاباً لجهة إعادة تماسك المجالس المحلية واستعادة المبادرات المحلية ونشاط المجتمع المدني. لكن المؤكد أن هذه المجالس المحلية وفعاليتها تعتمدان على تطبيق الاتفاق، خاصة بعد التفاوض تحرير الشام عليه وسحب سلاحها التحيل فقط مع إبقاء مقاتليها وسيطرتها في المناطق نفسها.

فشل مشروع تشكيل إدارة مدنية جديدة

سعت أنقرة إلى تشكيل إدارة مدنية جديدة في إدلب، تدمج من خلالها كلاً من حكومة الإنقاذ والحكومة المؤقتة، على أن تكون مهام الإدارة الجديدة محصورة في منطقة خفض التصعيد في إدلب. في وقت تبقى الحال في عفرين ودرع الفرات على ما هي عليه. وتهدف تركيا من الإدارة الجديدة إلى التحكم المباشر بالأمور في إدلب. وواجه المقتراح حتى نهاية كانون الأول 2018 رفضاً من تحرير الشام، التي اشترطت إبقاء حكومة الإنقاذ أو ضمان حصة وازنة لها في الإدارة الجديدة في حال تشكيلها.<sup>46</sup>

وتعثرت المفاوضات بين تحرير الشام والجبهة الوطنية الهدافـة إلى تأسيـس إدارة مدنـية جـديدة، ولم تستطـع تحرير الشـام إقنـاع كل من فـيلق الشـام وأحرار الشـام وصـقور الشـام وجـيش الأحرار بالانضـمام إلى حـكومـة الإنـقـاذ، وحاـولـت استـرضـاء الأـطـراف جـمـيعـاً من خـلال تـسمـيـة فـواز هـلال رـئـيـساً لـحـوـمة الإنـقـاذ، باـعتـباره بـعيـداً عن الفـصـائـل العـسـكـرـية وعـضـواً سـابـقاً في مجلس مـحـافظـة حـلبـالـحرـة، وـمن الشـخـصـيات الفـاعـلة في مـحـافظـة حـلبـ47ـ لكنـ الفـصـائـل المـقرـبة من تـركـيا رـفـضـت صـيـغـة حـوـمة الإنـقـاذ نـفـسـهاـ، ما دـفعـ تـحرـيرـ الشـامـ إلىـ المـضـيـ فيـ مـشـروعـ تـسمـيـةـ وزـراءـ حـوـمة الإنـقـاذـ دونـ اـنتـظـارـ أحدـ، وـيـبـدوـ أنـ التـسمـيـةـ المـنـفـرـدةـ وـعدـمـ الـاستـجـابةـ للـضـغـوطـ التـركـيةـ هـدـفـهـ كـسبـ حـصـةـ كـبـيرـةـ فيـ أيـ بـنـيةـ إـدارـيةـ سـتـتـخـلـ تـركـياـ مـباـشـرةـ لـقـيـامـهاـ.

<sup>46</sup> روسيا اليوم، «تحرير الشام تسلم أقرة شروطها لصفقة إدلب»، روسيا اليوم، 27 تشرين الثاني 2018، <https://bit.ly/2zrF4ut>

<sup>47</sup> المدن، «النسخة الثانية من الإنقاذ: حكومة تحرير الشام»، المدن، 12 كانون الأول 2018، <https://bit.ly/2FaqP19>

وقد تجاهلت تركيا عمل الحكومة المؤقتة في منطقة درع الفرات،<sup>48</sup> وأضعف دورها وأبقتها مجرد واجهة دون أي صلاحيات أو إمكانيات مالية ولوجستية، كما منعت عمل الكثير من المنظمات الدولية وإعاقة عمل المنظمات المحلية. وبالنظر إلى التغيرات العسكرية في إدلب وسيطرة تحرير الشام على مناطق جديدة في ريف حلب الغربي وشرق معرة النعمان، ومع استمرار القتال، لا يعتقد أن تحرير الشام ستقبل بأي تعديل في حكومة الإنقاذ.

ونفضل تركيا تشكيل إدارة ضعيفة، لا تعارضها أولاً، ولا ت تعرض على تطور المطالب الروسية المفروضة على تركيا في منطقة «خفض التصعيد» ثانياً، بما فيها عودة بعض مؤسسات حكومة النظام إلى مدينة إدلب. وهو ما يمكن لأنقرة أن تقبله جزئياً في حال نجحت في البقاء على نقاط مراقبتها العسكرية، وضمنت عدم عودة جيش النظام السوري وأجهزة مخابراته إلى المنطقة، وبدأت بتشغيل الطرق الدولية وتأمينها.

#### المجالس المحلية قبل وبعد اتفاق سوتشي

مع هيمنة حكومة الإنقاذ على إدلب وبديها بإغلاق مكاتب الحكومة المؤقتة والسيطرة على مراقبتها، ساء الوضع الإداري في منطقة خفض التصعيد بشكل كبير. وخلص مركز عمران للدراسات الاستراتيجية في مسح أجراه على المجالس المحلية في شهر نيسان وأيار 2018 إلى وجود 140 مجلس محلي في إدلب، 59 بالمئة منها يتبع الحكومة المؤقتة.<sup>49</sup>

وساهم نقص الدعم والموارد وسيطرة تحرير الشام على الإدارة المدنية الناشئة بتخلی الكثير من المجالس عن ولائها للحكومة المؤقتة. وتراجعت تبعية المجالس لها من 59 بالمئة إلى 35 بالمئة. أي بمعدل 49 مجلس من إجمالي مجالس محافظة إدلب، وجرى هذا التحول بشكل بطيء بين أيار 2018 وكانون الأول 2018.<sup>50</sup>

وكشف تقاسم مناطق النفوذ بعد اقتتال بين الفصائل الذي بدأ في آذار وانتهى في أيار 2018، ثم طرد تحرير الشام من ريف حلب الغربي وسهل الغاب ومدينتي معرة النعمان وأريحا، قدرة المجالس على اتخاذ قرارات مستقلة بعد خروجها من سيطرة تحرير الشام، حيث أعلن مجلس أريحا انفصاله عن حكومة الإنقاذ وإجراء انتخابات في 12 أيار 2018. وبدأ كذلك مجلس معرة

<sup>48</sup> مركز جسور للدراسات، «الحكومة السورية المؤقتة الثالثة مراجعة وتقدير»، مركز جسور للدراسات، 13 تموز 2018، <https://bit.ly/2zCin9b>.

<sup>49</sup> ساشا العلو، «اتفاق إدلب في حسابات الربح والخسارة»، مركز عمران للدراسات الاستراتيجية، 10 تشرين الثاني 2018، <https://bit.ly/2Rspg4T>.

<sup>50</sup> مقابلة الباحث مع رئيس مجلس محافظة إدلب الحر، مدير مديرية المجالس المحلية في مجلس محافظة إدلب، 25-27 تشرين الثاني 2018.

النعمان التحضير لعملية انتخابات عامة جديدة يشرف عليها مجلس محافظة إدلب التابع للحكومة المؤقتة.<sup>51</sup> وهو ما سبقهما إليه مدينة بنش التي خرجت من قبل عن سيطرة تحرير الشام.

وحافظت المجالس على ارتباطها بالحكومة المؤقتة في ريف حلب الغربي حتى نهاية كانون الأول 2018، ويعود ذلك إلى دعم حركة الزنكي للحكومة المؤقتة واستقبالها في مناطق سيطرتها، سواء على صعيد نقل مقرات بعض الوزارات إلى دارة عزة التي كانت تسيطر عليها الزنكي، أو من خلال الانتخابات الأخيرة في بلدات ريف حلب الغربي، حيث شاركت النساء بقوائم مستقلة في انتخابات مجلس عنجرة لأول مرة ونجحت امرأة من أصل أربع مرشحات في نيل عضوية المجلس. لكن بعد سيطرة تحرير الشام على مناطق جديدة في ريف حلب الغربي، وبالاخص دارة عزة، فرضت حكومة الإنقاذ على المجالس المحلية مباشرة لها.

ويؤثّر في تبعية المجالس المحلية وولائها معطى رئيسى هو الجهة المسيطرة عسكرياً. كما تؤثر أسباب أخرى أقل أهمية متعلقة بقوة المجلس المحلي ومقدراته على تحدي الفصائل المسيطرة، وموقف المجتمع المدني منه. وتعتبر الموارد أهم عوامل استقلالية المجالس المحلية، وهي التي تحدد طبيعة علاقتها بالحكومة المؤقتة أو حكومة الإنقاذ.

وكان الدعم المالي من اهم أسباب التحاق المجالس المحلية بحكومة الإنقاذ رغم عدم قناعة تلك المجالس فيها وقلة ذلك الدعم واقتصراره على رواتب الموظفين والحد الأدنى من الخدمات، في حين يعجز مجلس المحافظة والحكومة المؤقتة عن تأمين أي دعم لتلك المجالس، أو حتى كلف تشغيلية بسيطة للمجالس المرتبطة بهما. كما يشكل الخطر الأمني لتحرير الشام ضد أعضاء المجالس الرافضة واحداً من أسباب خضوعها أيضاً.

#### وقف المساعدات وتأثيراته

أدى وقف المساعدات الأميركيّة والبريطانية<sup>52</sup>، وتراجع في الدعم الأوروبي مطلع 2018 إلى تراجع ملحوظ في دور المجالس المحلية وأدائها، ودفع قسماً كبيراً إلى الالتحاق بحكومة الإنقاذ بحثاً عن سبل العيش.

<sup>51</sup> فيسبوك، «مجلس محافظة إدلب الحرّة يشكّل لجنة انتخابية لإجراء انتخابات في معرة النعمان»، 20 تشرين الثاني 2018 <https://bit.ly/2C00LSI>

<sup>52</sup> اتخذت بريطانيا القرار في نهاية عام 2017 وبشرت تفاصيله في كانون الثاني 2018 منسوبة من برامج إعادة الاستقرار والتعافي المبكر، والتي كانت تشمل برامج الحكومة والبرامج السياسية وبرنامج دعم الشرطة، حيث أغلقت البرامج نهائياً مع انتهاء 2018 ليقتصر دعمها منذ ذلك الحين على المساعدات الإنسانية. فيما أوقفت أميركا دعمها لمشاريع التعافي المبكر في آيار 2018، والتي كانت تدعم الإعلام المستقل ودعم المنظمات والتعليم والحكومة. كذلك اتخذت وزارة الخارجية الألمانية قرار وقف دعمها المباشر لهيأكل الحكم المحلي في شمال غرب سوريا نهاية 2017، والتحول إلى دعم لترسيخ قدرة المجتمعات المحلي. وأبلغت هولندا شركاءها رسمياً بوقف عملها في سوريا في 17 كانون الأول 2018.

ودفع ذلك أيضاً بعشرات العاملين في المنظمات الدولية في داخل سوريا إلى البطالة، فيما شعر الآلاف من الناشطين المدنيين أنهم ثرکوا وحيدین وتحت رحمة تحریر الشام وذراعها التنفيذی (حكومة الإنقاذ). وهو ما شكل إحباطاً عاماً دفع الكثير منهم إلى الدخول بطريقة غير شرعية إلى تركيا في انتظار فرصة لجوء أو طريقة غير شرعية للوصول إلى أوروبا وطلب اللجوء هناك. وقد أفرغت منطقة شمال غرب سوريا من الكفاءات المحلية المدنية تحديداً، التي كانت تحاول باستمرار بناء مؤسسات حكم محلي ووقفت في وجه المتطرفين.

فغياب المساعدات بدأ يؤدي باضطراد إلى تلاشي الحكم المحلي المتمثل بالمجالس المحلية المستقلة عن حكومة الإنقاذ، بسبب نقص الموارد الكبير مقارنة بالمسؤوليات والخدمات التي تقع على عاتق هذه المجالس. وبالتالي فإن سد الفراغ الذي يخلفه إضعاف الإدارات المحلية بسبب وقف المساعدات الغربية سيكون على الأرجح دور تركيا، إن بشكل مباشر أو عبر وسطاء محليين. وهذا سيجيّر الولاءات باتجاهها، ويساعدها على التحكم بالوضع، وفرض نماذج هجينه قبل تدريجياً بعودة مؤسسات النظام السوري وسلطتها وتفقد أي ممانعة في وجه المسار الروسي.

### فتح الطريق

تبذل تركيا جهداً كبيراً لتطبيق البند 8 من اتفاق سوتشي والذي ينص على «استعادة حركة الترانزيت عبر الطريقين M4 (حلب - اللاذقية) وإم 5 (حلب - حماة) بحلول نهاية عام 2018». وتدرك أنقرة جيداً أن إعادة تشغيل الطريق هو أحد أسباب إبعاد شبح الحرب التي يهدد بها الروس في إدلب.

ونظرت روسيا إلى أهمية طريق حلب دمشق منذ قمة آستانة التاسعة في شهر أيار 2017، حيث اعتبرته أولوية منذ ذلك الحين، في حين نجحت تركيا بإقرار نشر نقطة مراقبة واحدة في إدلب. واليوم بعد القضاء على جيوب المعارضة في مناطق خفض التصعيد الثلاث في درعا والغوطة وريف حمص الشمالي، يعود فتح الطريق أولوية قصوى بالنسبة لروسيا.

وتشكل استعادة حركة الترانزيت على الطريقين M4 وم 5 أبرز عقد اتفاق سوتشي الحالية، فهو مرتبط بحفظ مصالح الأطراف الدولية الثلاثة، إضافة إلى تسهيل حركة النظام وضمان نفوذ تحرير الشام من خلال إبقاء تواجدها على الطريق. وهو ما يجب أن توافق عليه روسيا بضمانة تركيا. أو قد تلجأ تحرير الشام إلى عناصر الشرطة في حكومة الإنقاذ لحفظ أمن الطريق، وهؤلاء غالبيتهم

يدينون بالولاء لها، وهو ما يخفف حرج روسيا وتركيا من فكرة انتشار التنظيم المتطرف على طرق الترانزيت.

أما تأخير فتح الطريق، فقد يغضب روسيا ويدفعها إلى القيام بعملية محدودة، تتقدم بها قوات النظام والمليشيات الإيرانية بتغطية جوية روسية من شرق طريق حلب - حماه لتسسيطر عليه وتقوم بتأمينه من الجهة الغربية. وهذا يعني خسارة المدن الكبيرة مثل خان سيخون ومعرة النعمان وسراقب، وعشرات القرى والبلدات المنتشرة على جانبي الطريق. لذلك تفضل أنقرة حل المسألة بالحد الأدنى من الخسائر وبالتالي الضغط على تحرير الشام لتقبل بفتح الطريق.

## خاتمة

لا يخفي تلاقي المصالح بين الأطراف الثلاث الضامنة في مسار آستانة هشاشة اتفاق سوتشي والمرحلة التي تطغى عليه. ومن غير المستبعد أن تحول إدلب إلى ساحة تبادل رسائل<sup>53</sup> خصوصاً بين روسيا والولايات المتحدة أو بين الأخيرة وإيران. فالاستقرار الآني معرض للانفجار في حال تباطؤ أنقرة في تطبيق بنود الاتفاق من خلال ضغط عسكري على أحد محاور منطقة خفض التصعيد الرابعة في إدلب، كما حصل مؤخراً في منطقة شرق سكة قطار الحجاز نهاية 2017 وبداية 2018<sup>54</sup> من هجوم مكثف تركز في ريف إدلب الجنوبي والشمالي. ويمكن أن يتطور التصعيد ليتحول إلى معركة محدودة في حال إخفاق أنقرة بتحمل مسؤولياتها حسب الاتفاق، أي مثلاً عدم فرضها فتح طرق الترانزيت مـ4 وـ5. ويبدو أن روسيا تعتبر فتح هذه الطرق أولوية، وهو الأمر الوحيد الذي سيحافظ على اتفاق سوتشي ويجلب الاستقرار مؤقتاً، كما سيمنح أنقرة فرصة في المناورة وحفظ اتفاق سوتشي من الانهيار.

في الوقت نفسه، يشير هجوم تحرير الشام على ريف حلب الغربي في بداية كانون الثاني 2019 وعدم اعتراض أنقرة ومنعها فصائل الجيش الوطني في درع الفرات من مساندة حركة الزنكي في دارة عزة إلى أن تركيا يمكن أن توافق على ما حدث. وقد ترغب تركيا في إلقاء مسؤولية أمن طرق الترانزيت على عاتق تحرير الشام، على غرار ما حصل يوم نشر تركيا لافتات مراقبتها في إدلب في شهر تشرين الأول 2017. فتركيا تعتبر تحرير الشام الفصيل الأقوى والأقدر على فرض أمن وسلامة الحركة على طرق الترانزيت ومنع أي اعتداءات محتملة من أي من التنظيمات

<sup>53</sup> زياد ماجد، «إدلب بين التدخل الدولي ومعادلات الأزمة السورية»، معهد الجزيرة، 27 تشرين الثاني 2018،

<https://bit.ly/2TvatDP>

<sup>54</sup> الدرر الشامية، «تحرير الشام تكشف...»، مصدر سابق.

الجهادية الأخرى. وهو ما يحتاج موافقة الجانب الروسي، الراغب بإنجاح اتفاق سوتشي. وفي حال تحقق هذا الواقع ستصبح خيارات المانحين الدوليين ضعيفة.

مع سيطرة تحرير الشام على ريف حلب الغربي، فرضت حكومة الإنقاذ على المجالس المحلية التبعية مباشرة لها، في حين بقيت المجالس المحلية في كل من مدینتي أريحا ومعرة النعمان وجوارهما الخارج عن سيطرة تحرير الشام ومناطق واسعة في سهل الغاب وجبل شحشبو مرتبطة بالحكومة المؤقتة.

قد يساهم تقديم الدعم لمؤسسات المعارضة في الداخل وتركيزه على المجالس المحلية التابعة للحكومة المؤقتة على تعزيز قدرة هيكل الحكم المحلي على رفض سيطرة تحرير الشام والوقوف في وجهها. ويمكن النظر بأولوية إلى المجالس المحلية المنتشرة على طريق الترانزيت، بسبب تراجع سلطة تحرير الشام وسيطرة الجبهة الوطنية للتحرير، كما يمكن أن تزداد فاعلية المجالس المحلية في المرحلة الثانية من الاتفاق مع استعادة النشاط على طريق الترانزيت، خصوصاً في حال تواجد الشرطة العسكرية الروسية (غير المؤكد بعد). هذا البند من الاتفاقية تأخر تنفيذه المحدد بنهاية عام 2018.

وحتى لو تم فتح طريق الترانزيت برعاية تحرير الشام، فإن سلطتها على المجالس المحلية للمدن والبلدات الواقعة على تلك الطرق ستبقى رخوة بسبب الحركة التجارية والاجتماعية المتداولة، والقوة الناعمة التي ستحتاج إليها تحرير الشام على الطريق. هذا يعني أن الانضباط الأمني سيتركز على رعاية المسافرين على الطريق وليس داخل البلدات، وهو ما سيدفع الديناميات المحلية إلى تطوير أشكال حكم محلي مختلفة عن السابق في شكلها العام، بما في ذلك إمكانية الانفتاح على النظام بشكل أو بآخر بعد قيامه بتقديم خدمات إضافية لتلك المجالس ومواطني تلك البلدات على طريق الترانزيت.

يعتبر قطاع التعليم والصحة من أبرز التحديات الواجب الاهتمام بها، فمن شأن توسيع شريحة المستفيدين، وتقديم دعم لوجستي وأجهزة طبية متقدمة غير متوفرة في الشمال السوري أن يخفف من تردي الأوضاع في تلك المنطقة، وكذلك ترميم مئات المدارس المدمرة جزئياً وتقديم تجهيزات مدرسية مناسبة خصوصاً في المخيمات الحدودية.

ومن الجهد الأخرى الازمة هي الالتفات إلى دعم منظمات المجتمع المحلي وبرامج الشراكات بينها وبين المجالس المحلية التابعة للحكومة المؤقتة، وتحفيز التنسقيات والمبادرات الشبابية التي تقوم بأنشطة تحد من تغول الفصائل المتطرفة. ويبقى توحيد الجهود بين الجهات السياسية والعسكرية والمجالس المحلية ومنظمات المجتمع المدني في مناطق سيطرة الجبهة الوطنية أهم

عوامل مواجهة التحديات، سواء على صعيد الفصائل المنطرفة أو على صعيد انهيار الاتفاق وبدء معركة في إدلب.

## الملحق 1

### مذكرة لتبسيط استقرار الأوضاع في منطقة خفض التصعيد في إدلب

إن جمهورية تركيا والاتحاد الروسي، بوصفهما ضامنين لمراقبة منظومة وقف إطلاق النار في الجمهورية العربية السورية،

وبالاسترشاد بمذكرة إنشاء مناطق خفض التصعيد في الجمهورية العربية السورية منذ 4 أيار 2017 والاتفاقات المبرمة في عملية آستانة،

ومن أجل تبسيط استقرار الأوضاع في منطقة خفض التصعيد في إدلب بأسرع وقت ممكن،

اتفقا على ما يلي:

- 1- سيعمل على الحفاظ على منطقة خفض التصعيد في إدلب، وسيتم تعزيز موقع المراقبة التركية لمواصلة عملها.
- 2- سيتخذ الاتحاد الروسي جميع التدابير اللازمة لضمان تجنب العمليات العسكرية والهجمات على إدلب وسيتم الحفاظ على الوضع الراهن.
- 3- سيتم إنشاء منطقة منزوعة السلاح بعمق يتراوح بين 15-20 كم في عمق منطقة التصعيد.
- 4- سيتم تحديد الخطوط الدقيقة للمنطقة منزوعة السلاح من خلال مفاوضات لاحقة.
- 5- سيتم إزالة كافة الجماعات الإرهابية المتطرفة من المنطقة المنزوعة السلاح قبل 15 تشرين الأول المقبل.
- 6- سيتم سحب جميع الدبابات وراجمات الصواريخ والمدفعية والهاون العائدة لكافة الأطراف المتنازعة من المنطقة المعزولة قبل 10 تشرين الأول.
- 7- ستقوم القوات المسلحة التركية والشرطة العسكرية التابعة لقوات الاتحاد الروسي بدوريات منسقة وبعمليات الرصد مع الطائرات بدون طيار على طول حدود المنطقة المنزوعة السلاح بهدف ضمان حرية حركة السكان المحليين والبضائع واستعادة العلاقات التجارية والاقتصادية.
- 8- استئناف السير والعبور على الطرق أم 4 التي تربط حلب باللاذقية، وأم 5 التي تربط حلب بحماته قبل نهاية العام 2018.

9- سيتم اتخاذ التدابير الفعالة لضمان نظام مستدام لوقف إطلاق النار في منطقة حضر التصعيد في إدلب، وفي هذا الإطار، سيتم تعزيز مهام مركز التنسيق المشترك بين إيران وروسيا وتركيا.

-10- أكد الجانبان مجدداً عزمهما على مكافحة الإرهاب في سوريا بكل أشكاله ومظاهره.

قرر في سوتشي يوم 17 أيلول 2018 بنسختين الإنكليزية والروسية بذات الحجية القانونية.

الموقعان:

## عن جمهورية تركيا وعن روسيا الاتحادية

QM-03-19-030-AR-N

RESEARCH  
PROJECT  
REPORT



Publications Office

DOI:10.2870/914853  
ISBN:978-92-9084-721-2